السماوات السبع بين أقوال المفسرين و علماء الفلك

إعداد

د. سليمان بن علي الشعيلي
جامعة السلطان قابوس
كلية التربية – قسم العلوم الإسلامية

د. صالح بن سعيد الشيذاني
جامعة السلطان قابوس
كلية العلوم – قسم الفيزياء

ملخص البحث:

فتح القرآن للإنسان أبواب المعرفة، وحثه على اكتشاف مكونات الكون المسخر له وسبر أغواره، ونهاه أن يكد عقله و يتعب ذهنه فيما كان فوق طاقته وما لا يمكن له أن يصل إلى شيء منه من علم الغيب، غير أن التسارع الكبير الذي أحرزه العلم التجريبي ، وكثرة الاكتشافات العلمية الحديثة مما له صلة بالقرآن الكريم و الذي كان يعد قبل سنوات من علم الغيب ، أوجب على المسلمين إعادة النظر في تفسيرهم لكثير من الآيات التي لها صلة بتلك العلوم.

تحدث المفسرون عن معنى السماء كما عند أهل اللغة ، لكنهم عند تفسيرهم للسماوات السبع ، ذهب الكثير منهم إلى أن المقصود بها كواكب المجموعة الشمسية ، ومع أنهم يرون أن العدد غير مراد فقد حاولوا أن يجعلوها سبعا ، وهم في كل ذلك لا ينطلقون من قاعدة علمية صحيحة بل إنهم – كما هو الظاهر– يتابعون علماء الهيئة في ذلك ، وهؤلاء قد بنوا أقوالهم هذه على تصور لا على يقين . والقول بأن السماوات السبع يقصد بها كواكب المجموعة الشمسية ، يرده العلم الحديث ، ولا ينطبق عليه وصف القرآن لها بأنها (طباقا)، و (شدادا) ، ذلك أن هذه الكواكب ليست مصطفة أفقيا بسبب تباين فترات دورانها ، من جهة و هي معرضة للتأثر بأجرام سماوية أخرى أكثر ثباتا من جهة ثانية، هذا بالإضافة إلى أن المجموعة الشمسية جزء من مليون مليون مليون جزء من هذا الفضاء المدرك، والذي هو عندنا يشكل السماء الدنيا فقط، وهذا الخطأ في التأويل تبعه خطأ في تأويل السماء الدنيا بأنها أقرب الكواكب إلى المجموعة الشمسية، وهذا التأويل أيضا لا يتفق مع المعارف الحديثة، ولا ينسجم مع تفسير الآية

السماوات السبع بين أقوال المفسرين وعلماء الفلك

الباحثان:
د. سليمان بن علي الشعيلي، جامعة السلطان قابوس، كلية التربية، قسم العلوم الإسلامية
د. صالح بن سعيد الشيذاني، جامعة السلطان قابوس، كلية العلوم، قسم الفيزياء.

ملخص البحث:
فتح القرآن للإنسان أبواب المعرفة، وحثه على اكتشاف مكنونات الكون المسخر له وسبر أغواره، ونهاه أن يكد عقله ويتعب ذهنه فيما كان فوق طاقته وما لا يمكن له أن يصل إلى شئ منه من علم الغيب. غير أن التسارع الكبير الذي أحرزه العلم التجريبي، وكثرة الاكتشافات العلمية الحديثة مما له صلة بالقرآن الكريم والذي كان يعد قبل سنوات من علم الغيب، أوجب على المسلمين إعادة النظر في تفسيرهم لكثير من الآيات التي لها صلة بتلك العلوم.
تحدث المفسرون عن معنى السماء كما هي عند أهل اللغة، لكنهم عند تفسيرهم للسماوات السبع، ذهب الكثير منهم إلى أن المقصود بها كواكب المجموعة الشمسية، ومع إنهم يرون أن العدد غير مراد فقد حاولوا أن يجعلوها سبعا. وهم في كل ذلك لا ينطلقون من قاعدة علمية صحيحة بل إنهم – كما هو الظاهر– يتابعون علماء الهيئة في ذلك، وهؤلاء قد بنوا أقوالهم هذه على تصور لا على يقين. والقول بأن السماوات السبع يقصد بها كواكب المجموعة الشمسية، يرده العلم الحديث، ولا ينطبق عليه وصف القرآن لها بأنها (طباقا)، و(شدادا)، ذلك أن هذه الكواكب ليست مصطفة أفقيا بسبب تباين فترات دورانها، من جهة وهي معرضة للتأثر بأجرام سماوية أخرى أكثر ثباتا من جهة ثانية. هذا بالإضافة إلى أن المجموعة الشمسية جزء من مليون مليون مليون جزء من هذا الفضاء المدرك، والذي هو عندنا يشكل السماء الدنيا فقط. وهذا الخطأ في التأويل تبعه خطأ في تأويل السماء الدنيا بأنها أقرب الكواكب إلى المجموعة الشمسية، وهذا التأويل أيضا لا يتفق مع المعارف الحديثة، ولا ينسجم مع تفسير الآية "وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا"[1].

[1] سورة فصلت/12

في هذا السياق يأتي هذا البحث محاولة للنظر في مدى التوافق بين النظريات العلمية الحديثة في تفسيرها للسماوات السبع وبين آيات القرآن الكريم من جهة ، ومدى الاتفاق والاختلاف بين هذه الاكتشافات وأقوال المفسرين للقرآن الكريم قديما وحديثا من جهة أخرى. يعنى البحث أولا بتعريف السماء في لغة العرب، ثم عدد السماوات كما أشار القرآن الكريم، والمقصود من العدد المذكور، وأقوال المفسرين في ذلك، ثم يتحدث البحث عن المقصود بالسماء الدنيا، ويستعرض صفات السماوات كما وردت في القرآن الكريم، ثم يناقش البحث الأقوال الواردة في ذلك. وفي خلاصته توصل البحث إلى خلاف ما قاله أكثر المفسرين من أن المقصود بالسماوات السبع هي المجموعة الشمسية. ورأى أن هذا لا يتوافق مع سياق الآيات ولا يتفق مع اكتشافات العلم الحديث. وعليه يكون تفسير السماوات السبع بفرضية الأغلفة المتطابقة هو البديل الأرجح ,وأن هذا الفضاء الكوني الواسع المترامي الأطراف الذي استطاع العلم أن يتعرف على بعضه ما هو إلا السماء الدنيا والله أعلم.

المقدمة

كانت السماوات وما في حيزها تعد من عالم الغيب الذي يصعب على البشر – حاشا الرسل الموحى إليهم – الجزم به أو العلم بما فيه، ومن هنا اختلفت أقوال أئمة التفسير تبعا للعصر الذي عاشوه ،

والمعارف المتوفرة لديهم في ذلك العصر. ولئن كانت الاكتشافات الحديثة قد خطت خطوات بعيدة في إظهار كثير مما خفي على البشر في عصورهم الغابرة، أو تصحيح ما كان سائدا من معتقدات خاطئة عن الكون والحياة والإنسان.

نقول لئن كان الحال كذلك فيما يمكن أن يصل إليه علم الإنسان، فإن هذا الأمر جد عسير فيما يخص السماوات وما فيها، وما وصلت إليه المراصد الفلكية الضخمة؛ الأرضية و الفضائية منها، و على اختلاف أطيافها و تنوع أساليبها، ليس إلا جزء ضئيل جدا من هذا الكون الفسيح المترامي الأطراف الآخذ في الإتساع و التمدد مصداقا لقوله عز وجل { لخلق السموات والأرض اكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون }[2]، و قوله عزَ قائلا عليما { والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون }[3]، فيا له من خالق بديع، و على كل شيء قدير.

هذا وقد تحدث المفسرون عن السماوات السبع و طبقاتها بقدر ما توفر لديهم من معارف في تلك العصور، وأكثرهم لم يأت بمقنع إذا ما قيس ذلك بما عرف اليوم عن هذا الكون على ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة. لذا نرجو أن يكون هذا البحث استشرافا لمعان أكثر جلاء و إقناعا، اعتمادا على معطيات علمية حديثة و معاني أوسع و أكثر دلالة على عظم خلق السماوات و الأرض الذي أقسم به المولى عز وجل في عدة آيات من الذكر الحكيم.

المبحث الأول: معنى السمـــاء

ذكر ابن فارس في معجم مقاييس اللغة أن السين والميم والواو أصل يدل على العلو. يقال سموت إذا علوت. وسما بصره علا. وسما لي شخص: ارتفع حتى استتبته.[4] و ما نقله ابن منظور من معان ودلالات لا تخرج عن هذا الأصل إما حقيقة وإما مجازا، قال في اللسان: "سما: السمو، الارتفاع والعلو... وسما الشيء يسمو سموا فهو سام ارتفع، وسما به و أسماه: أعلاه، ويقال للحسيب و الشريف: قد سما، و سماء كل شيء أعلاه، والسماء سقف كل شيء و كل بيت. و قال الزجاج: السماء في اللغة يقال لكل ما ارتفع وعلا قد سما يسمو، وكل سقف فهو سماء، ومن هذا قيل للسحاب سماء لأنها عالية، و السماء كل ما علاك فأظلك، ومنه قيل لسقف البيت سماء، السماء

[2] سورة غافر/57
[3] سورة الذاريات/47
[4] أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، 98/3 مادة (سمو)

السحاب، و السماء المطر، يقال ما زلنا نطأ السماء حتى أتيناكم أي المطر، ويسمى العشب أيضا سماء لأنه يكون عن السماء الذي هو المطر قال الشاعر:

فلما رأى أن السماء سماءهم أتى خطة كان الخضوع نكيرها

أي رأى أن العشب عشبهم فخضع لهم ليرعى إبله فيه، وفي الحديث: (صلى بنا رسول الله ε إثر سماء من الليل) أي إثر مطر[5]. والذي يعنينا من هذه المعاني كلها ما ذكره الإمام الراغب في المفردات:أن "السماء المقابل للأرض مؤنثة وقد تذكر، و يستعمل للواحد و الجمع لقوله { ثم استوى إلى السماء فسواهن}[6] وقد يقال جمعها سماوات فهي كالنخل والشجر وما يجري مجراه من أسماء الجنس الذي يذكر و يؤنث ويخبر عنه لفظ الواحد والجمع)[7].

ولم يخرج المفسرون عن هذا المعنى في تفسيرهم للسماء ، ففي تفسير قوله تعالى { ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا كأنما يصعد في السماء }[8]

قال ابن عاشور: السماء يجوز أن تكون بمعناه المتعارف، ويجوز أن يكون السماء أطلق على الجو الذي يعلو الأرض، قال أبو علي الفارسي " لا يكون السماء المظلة للأرض ولكن كما قال سيبويه القيدود الطويل في غير سماء، أي في غير ارتفاع صعداً". أراد أبو علي الاستظهار بكلام سيبويه على أن اسم السماء يقال للفضاء الذاهب في ارتفاع، وليست عبارة سيبويه تفسيراً للآية"[9]. ويراد بالسماء جهة العلو –أيضا– كما في قوله تعالى { الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء}. قال الإمام أطفيش –رحمه الله– في تفسير "وفرعها في السماء" في جهة السماء أو في جهة العلو[10].وقال ابن عطية في الهواء نحو السماء[11].

أما بنسبة للفلكين المعاصرين فأكثرهم لا يتعمق في تعريف ما المقصود بالسماء ولا يتطرق إلى رسم حدودها وعليه يطلق مصطلح السماء على كل مايحيط بالأرض بدأ من الغلاف الجوي وإنتهاءاً بأعماق الفضاء السحيقه. ولكون الدراسات الفلكية في هذا العصر متفرعه ومتخصصه جرت العادة

---

[5] ابن منظور، لسان العرب مادة سما، 2107/3-2108
[6] سورة البقرة/29
[7] الراغب الأصفهاني، المفردات صـ427
[8] الأنعام/125
[9] ابن عاشور، التحرير والتنوير، 45/7-46
[10] اطفيش محمد بن يوسف ، تيسير التفسير ، جـ349/6
[11] ابن عطية ، المحرر الوحيد ،81/10

على إستخدام المسميات التخصصية كطبقة التروبوسغير والفضاء بين الكواكب أو الفضاء بين المجرات، ..... إلخ.

وبما أننا في هذا نبحث عن تفسير علمي –(ليس من باب الإعجاز) – فواضح أن السماء في آية البقرة السالفة الذكر المراد بها الكون بأسره على الأرجح، بينما السماء في آية الأنعام أعلاه المراد بها الغلاف الجوي. وهكذا يمكن أن يختلف معنى السماء حسب السياق كما في قوله عزّ وجل في سورة ق :7 ﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج﴾ و قوله جل جلاله في سورة الذاريات (والسماء بنيناها بأييدٍ وإنا لموسعون) و قوله عز قائلا حكيما (وأنزلنا من السماء ماءً بقدر فأسكناه في الأرض ...) المؤمنين 19، و في سورة الأنبياء:17 (وماخلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين). وغير ذلك من الآيات.

مما سبق يمكننا القول أن السماء هي الفضاء الواسع المحيط بهذه الأرض، وهي تمثل السقف لهذه الأرض وتعمل عمله حفظا وحماية، كما وصفها القرآن في قوله تعالى { وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً}[12]. "والسقف: حقيقته غطاء فضاء البيت الموضوع على جدرانه، وأطلق على السماء على طريقة التشبيه البليغ، أي جعلناها كالسقف لأن السماء ليست موضوعة على عمد"[13].
وذكر الإمام الرازي في معنى (محفوظا) أقوال منها:
أنه محفوظ من الوقوع والسقوط الذي يجري مثلها على سائر السقوف. قال:(وهذا الوجه أقوى لأن حمل الآيات عليه مما يزيد هذه النعمة عظمة لأنه سبحانه كالمتكفل بحفظه وعدم سقوطه على المكلفين).[14]

المبحث الثاني عدد السماوات

ورد تحديد عدد السماوات بأنها سبع في تسع آيات من القرآن الكريم كما يلي:

1. سورة البقرة آية رقم 29: قال الله عزَ وجل{ ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات}.

[12] الأنبياء / 32
[13] ابن عاشور ، التحرير والتنوير 43/17
[14] الرازي ، مفاتيح الغيب ،132/22، في تفسير "سقفا محفوظا إعجاز علمي ينظر في محله.

2. سورة الإسراء آية رقم 86 قال الله عزَ وجل { تسبح له السموات السبع}

3. سورة المؤمنون آية رقم 86 قال الله عزَ وجل { قل من رب السموات السبع...}

4. سورة فصلت آية رقم 11 قال الله عزَ وجل { فقضاهن سبع سموات في يومين }

وجاء وصفها بأنها طباق في:

5. سورة الملك آية رقم 3 قال الله عزَ وجل { الذي خلق سبع سموات طباقاً...}

6. وفي سورة نوح آية رقم 15 قال الله عزَ وجل { ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً}

7. وأشار في سورة الطلاق آية رقم 12 أنه خلق من الأرضين مثلهن قال الله عزَ وجل { الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن...}

8. ووصف في سورة المؤمنون آية رقم 17 بأنها طرائق حيث قال الله عزَ وجل { ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق...}

9. وفي سورة النبأ وصفها بأنها شداد حيث قال الله عزَ وجل { وبنينا فوقكم سبعاً شدادا} أية رقم 12

وإذا كان الأمر كذلك، فهل العدد سبعة مقصود لذاته أو المراد منه الكثرة ؟ هذا ما سيجيب عنه المبحث التالي:

المقصود بالعدد سبعة

ذكر القاسمي في تفسيره أن بعض علماء اللغة يرى أن العرب تستعمل لفظ سبع، وسبعين، وسبعمائة للمبالغة في الكثرة، فالعدد إذن غير مراد. وذهب بعض علماء الفلك إلى أن الحصر في السبع حقيقي وان المراد العالم الشمسي وحده دون غيره.... قال: وبذلك تتجلى معجزة واضحة جلية لأنه في عصر التقدم والمدنية العربية. كان علماء الفلك لا يعرفون من السيارات إلا خمساً... وهي عطارد، الزهرة، المريخ، المشتري، زحل، ولما اكتشف بعد (بالتلسكوب) سيار لم يكن موجوداً دعوه

"أورانوس" ثم سيار آخر سموه "نبتون" صارت مجاميع السيارات سبعاً فهذا الاكتشاف الذي ظهر بعد النبي – صلى الله عليه وسلم– بألف ومائتي سنة دل على معجزة القرآن، ونبوة المنزل عليه صلى الله عليه وسلم[15].

وهذا القول يصح فقط إذا حذفنا الكوكب التاسع بلوتو من قائمة الكواكب لختلاف بعض خواصه وعدم إنتماءه بشكل قطعي إلى مجموعة الكواكب الصخرية (عطارد و الزهرةوالأرض و المريخ) أو إلى مجموعة الكواكب الغازية (المشتري و زحل وأورانوس و نبتون). ولكن إذا تأملنا ذلك الإختلاف نجده لايخرج بلوتو عن كونه كوكب كما هو متفق عليه الآن وخاصة لوجود القمر (كارون Charon) تابع للكوكب بلوتو. فين حين تجدر الإشارة لوجود بعض الفلكين الراغبين في إعتباره قمر ضل طريقه بعد أن كان تابعا لكوكب نبتون من حيث مقتضى تمركز مداره. ومن جهة أخرى من ينادي بإعتبار بعض الكويكبات المكتشفه حديثا مثل سيدا كواكب إضافية للمجموعة الشمسية و يواصل البحث عن كواكب أخرى. والخلاصة فتفسير السماوات السبع بالكواكب السيارة لا يتماشى مع المسلم به علميا في عصر هذا.

وظاهر كلام المفسرين كالرازي والبيضاوي أن العدد غير مراد، قال الرازي: فان قال قائل فهل يدل التنصيص على سبع سموات على نفي العدد الزائد، قلنا: الحق أن تخصيص العدد بالذكر لا يدل على نفي العدد الزائد.[16]

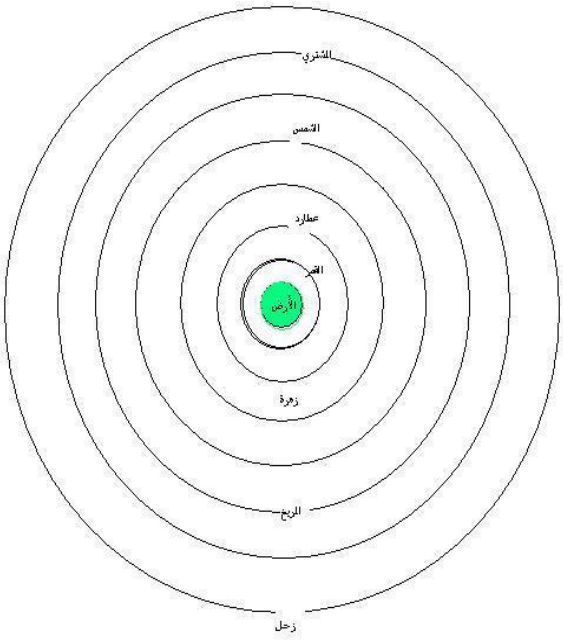

[15] القاسمي، محاسن التأويل 91/2-94

[16] انظر الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، 246/1، حاشية الشهاب على البيضاوي 117/2 حاشية محي الدين شيخ زاده على البضاوي /237/1.

ونحن وإن كنا لا نتفق مع القول بأن السموات هي السيارات السبعة، لكننا نميل إلى أن العدد مقصود به الحصر، وإن تأكيد القرآن ذكر هذا العدد في آيات كثيرة دليل قاطع على أن هذا العدد مقصود لذاته. [17]

المبحث الرابع: السماوات السبع عند المفسرين

ذهب أكثر المفسرين قدامى ومحدثين أن المقصود بالسموات السبع هي الكواكب السيارة التابعة للنظام الشمسي، لكنهم اختلفوا في الشمس والقمر، فعدهما الأولون من جملة السموات السبع حين لم تكن بقية كواكب المجموعة الشمسية مكتشفة بعد، في حين استبعدهما المحدثون وأضافوا الكوكبين "أورانوس" ونبتون" بديلين عنهما.

ففي تفسير قوله تعالى { ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات..}.[18] يقول الإمام الرازي:(أعلم أن القرآن هنا قد دل على وجود سبع سموات، وقال أهل الهيئة أقربها إلينا كرة القمر، وفوقها كرة عطارد، ثم كرة الزهرة، ثم كرة الشمس، ثم كرة المريخ، ثم كرة المشتري ثم كرة زحل...."[19].

بيد أن الترتيب الفلكي الحقيقي لهذه الأجرام يخالف تماما ما ذهب إليه الإمام الرازي فعلى ضوء متوسط اقطار مدارات الكواكب فإن أقرب كواكب المجموعة الشمسية إلى الأرض هو كوكب الزهرة يبعد عنا 0.277 وحده فلكية كما يظهر في الشكل أدناه يليه كوكب المريخ ومن ثم عطارد فالمشتري وزحل وأورانوس ونبتون وبلوتو. في حين تجدر الإشارة إلى أن المسافات الفاصلة بين الأرض والكواكب تتغير بإستمرار بين قيمة دنيا وقيمة قصوى. وعليه فالمريخ يكون أقرب إلى الأرض بمقدار 0.524 وحدة فلكية عندما لا يكون كوكب الزهرة في جهة الأرض أو يقع في الجهة المناظرة أي خلف الشمس فيصل بعده 1.723 وحده فلكية. و هكذا الحال مع بقية الكواكب التي تكون مسافاتها الصغرى أو دنيا أقل من المسافات القصوى للكواكب الأقرب إلى الأرض في المتوسط أو على حسب

[17] أنظر فضل عباس، إعجاز القرآن الكريم، 152
[18] سورة البقرة /29
[19] الرازي، مفاتيح الغيب، 144/2

مداراتها. وحيث إن مدارات الكواكب لا تتمركز حول الأرض فهي ليست طباقا ومن ثم قد لايصح تفسير السموات السبع بالكواكب أو المجموعة الشمسية.

ولعل اعتماد الإمام الرازي على هذا القول كونه –كما ذكر– السائد عند أهل الهيئة آنذك وفقا للإعتقاد القديم القائم على أن الأرض هي مركز المجموعة الشمسية بدلا من مركزية الشمس ويبدو أنه أخذه من كتاب المجسطي لبطليموس ولم يتبين له خطأ هذا الترتيب الموضح في الشكل أعلاه. كما أن هنالك من فسر السموات السبع بطبقات الغلاف الجوي إستناد إلى الآيات المتعلقة بنزول المطر وصفة الرجع وكما ذهب البعض إلى نوعية بدل من العددية . فقال بدون أدلة تذكر بأن الأولى هي الغلاف الجوي والثانية الشهب والثالثة النيازك والرابعة القمر والخامسة الكواكب و المذنبات و السابعة الشمس. وهذا التاويل أضعف من أن يناقش ولعله من الأجدر ان لا يشار إليه وإن روّج له من أراد الطعن في مصداقية القرآن الكريم.

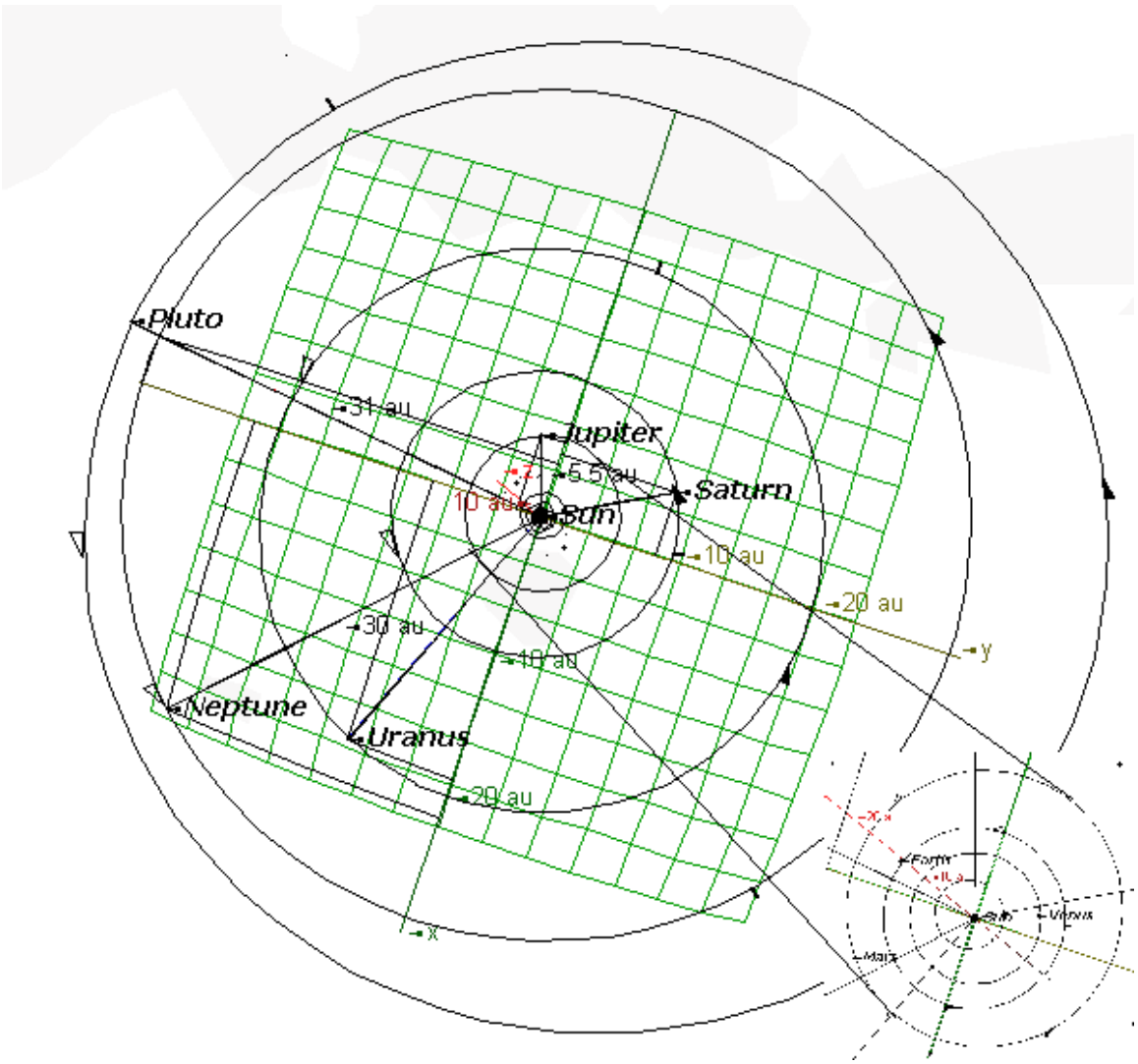

الشكل 1: يوضح تمركز الكواكب حول الشمس و إختلاف المسافات الفاصلة بينها، تفاصيل مدارات الكواكب الصخرية أو الصلبة موضح بالزاوية اليمنى السفلية

وقد تقدم أن القاسمي اعتبر اكتشاف الكوكبين "أورانوس ونبتون" – ليكتمل بهما عدد السماوات سبعاً– من معجزات القرآن الكريم: وقال ناقلاً عن بعض علماء الفلك: "إن المراد بالسماوات السبع العالم الشمسي وحده دون غيره"[20]. (وهذا القول غير مقبول كسابقه فهو مع مخالفته للعلم الحديث لا يتفق مع وصف القرآن لهذه السموات بأنها (طباقا) و (شدادا)، ذلك أن هذه الكواكب ليست مصطفة أفقيا (كما يفهم من الوصف (طباقا) بسبب تباين فترات دورانها ،و ليست ثابتة، كما يفهم من وصفها بأنها شداد فهي معرضة للتأثر بأجرام سماوية أخرى أكثر ثباتا منها. وأيضا فإن كواكب المجموعة

[20] القاسمي ، محاسن التأويل ، 91/2

الشمسية يزيد عددها على السبعة، كما سنبينه في موضعه، بالإضافة إلى أن المجموعة الشمسية كلها ما هي إلا جزء من مليون مليون مليون جزء من هذا الفضاء الكوني الواسع.

وعبر بعض المفسرين عن السموات بالأفلاك، فالسماء الدنيا مثلاً عندهم هي فلك المريخ فهو وما حوله من النجوم العديدة التي تسمى مصابيح تعتبر كلها سماء وليس السيّار نفسه.[21]وهذا القول مردود أيضا إذ أن المعروف عند الفلكيين أن فلك الزهرة هو الأقرب إلى الأرض وليس المريخ ومن ثم يأتي فلك المريخ في المرتبة الثانية قربا من فلك الأرض، أما قوله "وما حوله من النجوم" فليس بصحيح إذ أن النجوم توجد على مسافات شاسعة إذا ما قورنت ببعد المريخ عنا مالم يكن يقصد حزام الكويكبات.

هذا وقد ردَّ الرماني بحسه اللغوي – هذا القول، فقال: السماوات غير الأفلاك، لأن الأفلاك تتحرك وتدور، و السموات لا تتحرك ولا تدور."[22]

قال ابن عاشور[23] "وبعضهم يفسر السماوات بالأفلاك وهو تفسير لا يصح لأن الأفلاك هي الطرق التي تسلكها الكواكب السيارة في الفضاء".
وابن عاشور – وهو من المحدثين – من جملة من فسروا السموات السبع بالنظام الشمسي، قال عند تفسير قوله تعالى في سورة الملك " (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح)[24]. والسماوات تكرر ذكرها في القرآن، والظاهر أن المراد بها الكواكب التي هي مجموع النظام الشمسي ما عدا الأرض، فإنها هي المشاهدة بأعين المخاطبين، فالاستدلال بها استدلال بالمحسوس[25].

ودافع عن هذا الرأي عند تفسير قول تعالى { ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات}[26] حيث قال: إن المراد من السماوات الأجرام العلوية العظيمة وهي الكواكب السيارة المنتظمة مع الأرض في النظام الشمسي ويدل على ذلك أمور:

---

[21] المصدر نفسه 93/2 ، وانظر ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم 66/1
[22] الطبرسي ، مجمع البيان ، 158/1، لنا تعقيب على هذه الجزئية لاحقا.
[23] ابن عاشور ، التحرير والتنوير 380/1
[24] سورة تبارك/5
[25] ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، 15/29
[26] سورة البقرة/29

أحدها: إن السماوات ذكرت في غالب مواضع القرآن مع ذكر الأرض ... تدل على إنها عوالم كالعالم الأرضي وهذا ثابت للسيارات.
ثانيها: أنها ذكرت مع الأرض من حيث إنها أدلة على بديع صنع الله فناسب أن يكون تفسيرها بتلك الأجرام المشاهدة للناس.
ثالثها: إنها وصفت بالسبع وقد كان علماء الهيئة يعرفون السيارات السبع[27] من عهد الكلدان وتعاقب علماء الهيئة من ذلك العهد إلى العهد الذي نزل فيه القرآن فما اختلفوا في أنها سبع.
رابعا: أن هذه السيارات هي الكواكب المنضبط سيرها بنظام مرتبط مع نظام سير الشمس والأرض... فناسب أن تكون هي التي قرن خلقها بخلق الأرض...[28]

وابن عاشور وإن كان قد مال إلى هذا الرأي ودافع عنه، لكنه ذكر قولا آخر جديرا بالاهتمام عند تفسير قوله تعالى { إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب}[29]. قال: "الدنيا أصله وصف هو مؤنث القربى، والمراد قربها من الأرض أي السماء الأولى من السموات السبع، ووصفها بالدنيا إما لأنها أدنى إلى الأرض من بقية السموات، والسماء الدنيا على هذا هي الكرة التي تحيط بكرة الهواء الأرضية وهي ذات أبعاد عظيمة ومعنى تزينها بالكواكب والشهب على هذا، أن الله جعل الكواكب والشهب سابحات في مقعر تلك الكرة على أبعاد مختلفة ووراء تلك الكرة السموات السبع محيط بعضها ببعض في أبعاد لا يعلم مقدار سعتها إلا الله.
ونظام الكواكب المعبر عنه، بالنظام الشمسي على هذا من أحوال السماء الدنيا، ولا مانع من هذا لأن هذه اصطلاحات والقرآن صالح لها ولم يأت لتدقيقها ولكنه لا ينافيها، والسماء الدنيا على هذا هي التي وصفت في حديث الإسراء بالأولى.[30]

وهذا الرأي أقرب إلى الواقع وأكثر اتفاقاً مع معطيات العلم الحديثة كما سنرى لاحقاً، وما دافع عنه أولاً كان معتمداً فيه على أقوال علماء الهيئة وأكثر تلك الأقوال تعتمد على التخمين، أو على ما نقل عن أهل الكتاب، وكل ذلك لا يعد طريقاً صحيحاً فيما كان إثباته محتاجاً إلى التجربة والبرهان العلمي.

---

[27] المراد هنا "القمر وعطارد والشمس والمريخ والمشتري وزحل".
[28] ابن عاشور، التحرير والتنوير، 380/1
[29] الصافات /6
[30] ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، 11/23

وقد كان الأستاذ سيد قطب أكثر دقة واحتياطاً في الحديث عن السماوات السبع عند تفسير قوله { الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن...}[31]. قال: "والسماوات السبع لا علم لنا بحقيقة مدلولها وأبعادها ومساحاتها وكذلك الأراضي السبع فقد تكون أرضنا هذه التي نعرفها. واحدة منها والباقيات في علم الله. وقد يكون معنى مثلهن أن هذه الأرض من جنس السماوات فهي مثلهن في تركيبها أو خصائصها".[32] ولعل هذا الرأي هو الذي أشار إليه الإمام محمد أطفيش عند تفسير آية الملك، قال: " ثم إن كنا نرى السماء الدنيا جسما أخضر فإنا لا نرى السماوات الأخر، وآمنا بكل ما قال الله عز وجل فهمناه أو لم نفهمه"[33].

وفي سورة فصلت ذكر الله تعالى { فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها و زينا السماء الدنيا بمصابيح و حفظاً ذلك تقدير العزيز العليم }[34]، قال أبو السعود: أي خلقهن خلقاً إبداعيا وأتقنه حسبما تقتضيه الحكمة، { وأوحى في كل سماء أمرها } أي خلق في كل منها ما فيها من الملائكة والنيرات وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله ... ، أو أوحى إلى أهل كل منها أوامر وكلفهم ما يليق بهم من التكاليف"[35]. وبالأول قال الطبري: أي ألقى في كل سماء من السماوات السبع ما أراد من الخلق من الملائكة، والجبال والبرد والبحار، وشمسها وقمرها ونجومها وصلاحها[36].

وعليه يمكن القول أن كل سماء من هذه السماوات تنفرد بأمر خاص كإنفراد السماء الدنيا بزينة المصابيح أو الكواكب، ونحن إذا وسعنا معنى الكواكب ليشمل الكوكبات أو البروج و استعنا بآية الاستدلال بالنجوم من سورة النحل أي قوله تعالى { وعلامات و بالنجم هم يهتدون }[37] اتضح لنا أحد معاني الحفظ في الآية، أي أن تزين هذه السماء بزينة الكواكب ييسر أمر الاهتداء بها ليلا في الأسفار و من ثم كانت وسيلة لحفظهم من الحياد عن الطريق ومن التيه في القفار و الضياع في ظلمات البحار و المحيطات.

---

[31] الطلاق /12
[32] سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 2606/6
[33] الإمام أطفيش ، تيسير التفسير 14 / 14
[34] سورة فصلت / 12
[35] أبو السعود ، ارشاد العقل السليم ، 8/5-6
[36] الطبري / جامع البيان ، 92/12
[37] سورة النحل/16

المبحث الخامس: المقصود بالسماء الدنيا

الذين فسروا السماوات السبع بكواكب المجموعة الشمسية يرون أن السماء الدنيا أقرب هذه الكواكب إلى الأرض أي الأولى من السماوات السبع [38] لأنها أقرب السماوات إلى الناس ومعناه السماء الدنيا منكم[39] ولهذا اضطروا إلى القول أن الكواكب ليست في السماء الدنيا بل هي سائر السماوات . وذلك لأن السماوات شفافة فسواء كانت الكواكب في السماء الدنيا أو كانت في سماوات أخرى فوقها فهي لابد وأن تظهر في سماء الدنيا وتلوح منها[40].

وسبق أن ذكرنا قولاً لابن عاشور في تفسير السماء الدنيا بأنها الكرة التي تحيط بكرة الهواء الأرضية، وان الكواكب سابحة في مقعر تلك الكرة وأضاف قائلا: وأما أن المراد بالسماء الدنيا الكرة الهوائية المحيطة بالأرض وليس فيها شيء من الكواكب والشهب، وان الكواكب والشهب في أفلاكها وهي السماوات الست، فعلى هذا يكون النظام الشمسي كله ليس من أحوال السماء الدنيا، ومعنى تزين السماء الدنيا بالكواكب والشهب على هذا الاحتمال أن الله تعالى جعل أديم السماء قابلاً لاختراق أنوار الكواكب في نصف الكرة السماوية الذي يغشاه الظلام من تباعد نور الشمس عنه فتلوح أنوار الكواكب متلألئه في الليل فتكون تلك الأضواء زينة للسماء الدنيا تزدان بها[41]. وهذا القول وإن كان أحسن حالا من سابقه لكنه يظل بعيدا عن الصواب ذلك أنه أصبح من المعروف اليوم عند علماء الفلك أن هذا الفضاء الهائل الممتد المترامي الأطراف ما هو إلا الجزء المدرك[42] من السماء الدنيا كما يتصوره بعض الفلكيين.

ونحن يعجبنا ما قاله الأستاذ سيد قطب قال: ما السماء الدنيا؟ لعلها الأقرب إلى الأرض، وسكانها المخاطبين بهذا القرآن، ولعل المصابيح المشار إليها هي النجوم والكواكب الظاهرة للعين التي نراها حين ننظر إلى السماء"[43]

بقي أن نشير إلى أن ما ورد في حديث المعراج الذي أخرجه الشيخان وغيرها عن أنس بن مالك، من صفة للسماوات[44]، ليس فيه ما يشير إلى أن السماوات هي كواكب المجموعة الشمسية، بل أقصى ما

---

[38] ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، 11/23
[39] الزمخشري ، الكشاف 135/6 ، ابو السعود ، ارشاد العقل السليم 4/9
[40] الرازي ، مفاتيح الغيب 53/30 ، ابو السعود ، ارشاد العقل السليم 4/9
[41] ابن عاشور ، التحرير والتنوير / 11/23
[42] مناقشة لورقة طرحت في مؤتمر التطبيقات الفلكية في الشريعة الإسلامية عام 2002 بـ عمّان الأردن
[43] سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 3633/6
[44] انظر صحيح البخاري، 1410/3 (الموسوعة الألفية للسنة النبوية)

فيه أن النبي عليه الصلاة والسلام قد بلغ هذه السماوات وهذه كرامة له عليه السلام لم يصل إليها غيره، وعليه تبقى من علم الغيب. ومن ناحيه فلكية فالمسافات بين الكواكب تزداد كلما إبتعدنا عن الشمس بقدر كبير فعلى سبيل المثال أقل مسافة بين الأرض والزهرة تزيد على أربعمائة ألف كيلومتر، بينما المسافة بين الكوكب السابع والثامن تزيد عن 16 مليون كيلومتر. فهذه الزيادة الطردية في المسافات تدل على ان المسافات بين الكواكب متباينة بقدر كبير جدا ومن ثم لا تتوافق مع تساوي المسافات الفاصلة بين السموات كما ورد في بعض الأحاديث والمقدره بمسيرة خمسمائة عام.

صفة السماوات في القرآن

وصف القرآن الكريم السماوات السبع بأنها طرائق كما في آية المؤمنين "ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق" كما وصفها بأنها طباق في آيتي الملك 4 { الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور} ونوح /15 { ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا}. ووصفت بأنها شداد في آية في النازعات.

وقد جاء حديث المفسرين عن الصفتين الأوليتين (طرائق) و(طباقا) .متشابها:

قال الإمام الرازي في تفسير الطرائق: " أي سبع سماوات وإنما قيل لها طرائق لتطارقها أي كون بعضها فوق بعض يقال طارق الرجل نعليه إذا أطبق نعلا على نعل، وطارق بين ثوبين إذا لبس ثوبا فوق ثوب[45] وبمثل هذا قال الطبري[46] والألوسي. وإن كان الأخير زاد معنا آخر وهو جمع طريقة وسميت بذلك لأنها طرائق للملائكة في هبوطهم وعروجهم[47]. ويرى ابن عاشور أن المراد بطرائق هنا هو طرائق سير الكواكب السبعة وهي أفلاكها ...، وقد أطلق على الكوكب اسم الطارق في قوله تعالى: " والسماء والطارق" من أجل أن ينتقل في سمت يسمى طريق فإنه السائر في طريقه يقال له: طارق[48]، ولا شك أن الطرائق تستلزم سائرات فيها فكان المعنى: خلقنا سيارات وطرائقها[49].

[45] الرازي مفاتيح الغيب، 76/23 - 77
[46] الطبري جامع البيان
[47] الألوسي روح المعاني، 18/18
[48] أخيرا ذهب الأستاذ زغلول النجار إلي أن الطارق هو النجم النابض حيث أول صوت النبض بالطرق الذي يسمع في أرجاء السماء.
[49] ابن عاشور التحرير والتنوير

ونحن لا نرى مانعا من الجمع بين هذه المعاني فالسماوات بعضها فوق بعض وهي طرائق الملائكة وطرائق للأجرام السماوية، والكواكب السبعة وغيرها من الأجرام التي تمتلئ بها السماء. وأكثر المفسرين ذهبوا إلى أن معنى (طباقا): مطابق بعض فوق بعض، من طابق النعل إذا خصفها طبقا على طبق[50]. وأضاف ابن عاشور معنى آخر وهو أنها شديدة المطابقة أي مناسبة بعضها لبعض في النظام، ويجوز أن تكون جمع طبق والطبق: المساوي في حالة ما، ومنه قولهم في المثل: وافق شن طبقه[51].

وسيد قطب –كعادته– لا يجزم بتفسير في مثل هذه الآيات وأن كان فسر الطباق بما تقدم فقال: " والسماوات السبع الطباق التي تشير إليها الآية لا يمكن الجزم بمدلولها استقاء من نظريات الفلك، فهذه النظريات قابلة للتعديل والتصحيح كلما تقدمت وسائل الرصد والكشف ولا يجوز تعليق مدلول الآية بمثل هذه الكشوف القابلة للتعديل والتصحيح ويكفي أن نعرف أن هناك سبع سماوات، وأنها طباق بمعنى أنها طبقات على أبعد متفاوتة[52]. والوصف بأنها طباقا يتناسب تماما مع القول بأن السموات متطابقة يغلف بعضها بعضا[53].

والإشكال الذي يرد على هذا أن الآية تحدثت عن وجود القمر في هذه السماوات؛ قوله تعالى: "وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجاً". بيد أن المفسرين يرون أن القمر ليس في السماوات جميعها وإنما هو في السماء الدنيا فقط والتعبير القرآني (فيهن) تعبير مجازي للملابسة التي بين السماوات. قال الزمخشري "فيهن" في السماوات وهو في السماء الدنيا لأن بين السماوات ملابسه من حيث إنها طباق مجاز أن يقال فيهن وإن لم يكن في جميعهن كما يقال الأمير في مدينة كذا وهو في بعض نواحيها"[54] وهذا المعنى هو الذي ذكره الإمام الرازي[55] وغيره.
ويذهب كثيرون إلى أن المسافة بين كل سماء وسماء تقدر بخمسمائة عام اعتماداً على الحديث الذي أخرجه الإمامان مسلم والترمذي عن أبي هريرة بينما نبي الله – صلى الله عليه وسلم– جالس وأصحابه إذ أتى عليهم سحاب فقال نبي الله –صلى الله عليه وسلم–، هل تدرون ما هذا قالوا: الله

[50] الزمخشري، الكشاف، 124/6 وانظر الطبري، جامع البيان، 12 / 164وابو السعود، إرشاد العقل السليم، 23/9، الرازي، مفاتيح الغيب 50/30. أطفيش، تيسير التفسير 10/14، الألوسي، روح المعاني 57/29.
[51] انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير 15/29
[52] سيد قطب، في ظلال القرآن 3236/6- 3633
[53] النجار، السماء في القرآن الكريم، ط1 : 146
[54] الزمخشري ، الكشاف 161/6
[55] الرازي ، مفاتيح الغيب ، 124/30

ورسوله أعلم، فقال: هذا العنان، هذه روايا الأرض يسوقه الله إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه، قال: هل تدرون ما فوقكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها الرقيع سقف محفوظ، وموج مكفوف. ثم قال: هل تدرون كم بينكم وبينها ؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال بينكم وبينها خمسمائة عام، ثم قال: هل تدرون ما فوق ذلك، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن فوق ذلك سماءين بعد ما بينهما مسيرة خمسمائة سنه، ثم قال كذلك حتى عد سبع سماوات ما بين كل سماءين ما بين السماء والأرض"[56]

وعلى هذا جاء تفسيرهم للآية الكريمة؛ قوله تعالى "يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون".

قال الإمام الرازي: { في يوم مقداره ألف سنة....} فيه وجوه:

الأول: أن نزول الأمر وعروج العمل في مسافة ألف سنة مما تعدون وهو في يوم، فإن بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام.

ثانيها: هو أن ذلك إشارة إلى امتداد نفاذ الأمر، وذلك أن من نفذ أمره غاية النفاذ في يوم أو يومين وانقطع لا يكون مثل من ينفذ أمره غاية النفاذ في يوم أو يومين وانقطع لا يكون مثل من ينفذ أمره في سنين متطاولة، يعني { يدبر الأمر} في زمان، يوم منه ألف سنة، فكم يكون الشهر منه، وكم تكون سنة منه، وكم يكون دهر منه ، وعلى هذا الوجه لا فرق بين هذا وبين قوله :{ مقداره خمسين ألف سنة} لأن تلك إذاً إشارة إلى دوام نفاذ الأمر، فسواء يعد بالألف أو بالخمسين ألفا لا يتفاوت إلا أن المبالغة تكون في الخمسين أكثر[57].

وعلى فرض صحة الحديث، فنحن لا ندري بأي مقياس تقاس هذه الخمسمائة عام، هل بسرعة الضوء، أم بالمسافة التي يستطيع أن يقطعها البشر في هذه المدة من الزمن أم بمقياس آخر لا نعلمه.

وللزمخشري رأي آخر في تفسير الآية يقول:الأمر المأمور به من الطاعات والأعمال الصالحة ينزله مدبراً من السماء إلى الأرض ثم لا يعمل به ولا يصعد إليه ذلك المأمور به خالصاً كما يريده ويرضيه إلا في مدة متطاولة لقلة عمال الله والخلص من عباده وقلة الأعمال الصاعدة، لأنه لا يوصف بالصعود إلا الخالص ودل عليه قوله على إثره { قليلاً ما تشكرون ...} أو يدبر أمر الدنيا كلها من السماء إلى الأرض لكل يوم من أيام الله وهو ألف سنه كما قال { وإن يوماً عند ربك كألف سنه مما تعدون ...} .

---

[56] القرطبي ، جامع احكام القرآن ، 259/1

[57] الرازي ، مفاتيح الغيب ، 150/25

{ ثم يعرج إليه} أي يصير إليه ويثبت عنده ويكتب في صحف الملائكة كل وقت من أوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الأمر ويدخل تحت الوجود إلى أن تبلغ المدة أخرها ثم يدبر ليوم آخر وهلم جراً إلى أن تقوم الساعة.وقيل إن جبريل يقطع المسافة في مسيرة ألف سنة في الهبوط والصعود في يوم واحد لسرعته لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام. وقيل يدبر أمر الدنيا من السماء إلى أن تقوم الساعة ثم يعرج إليه ذلك الأمر أي يصير ليحكم فيه { في يوم كان مقداره ألف سنة} وهو يوم القيامة[58]

على أن لابن عاشور رأي آخر في تفسير الآية لعله الأنسب من حيث معطيات العلوم الحديثة ومن حيث السياق أيضا. يقول: العروج: الصعود، وضمير (يعرج) عائد على (الأمر) ...، فالعروج هنا مستعار للمصير إلى تصرف الخالق دون شائبة تأثير من غيره ولو في الصورة كما في أحوال الدنيا من تأثير الأسباب، وكما كان الجلال يشبه بالرفعة في مستعمل الكلام شبه المصير إلى ذي الجلال بانتقال الذوات إلى المكان المرتفع، وهو المعبر عنه في اللغة بالعروج كما قال { إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه }

واليوم من قوله { في يوم كان مقداره ألف سنة } هو اليوم الذي جاء ذكره في آية سورة الحج/47 بقوله { وإن يوماً عند ربك كألف سنة.. } ومعنى تقديره بألف سنة: أنه تحصل فيه من تصرفات الله في كائنات السماء والأرض ما لو كان من عمل الناس لكان حصول مثله في ألف سنة، فلك أن تقدر ذلك بكثرة التصرفات، أو بقطع المسافات، وقد فرضت في ذلك عدة احتمالات، والمقصود التنبيه على عظم القدرة وسعة ملكوت الله وتدبيره، ويظهر أن هذا اليوم هو يوم الساعة. أي ساعة اضمحلال العالم الدنيوي، وليس اليوم المذكور هنا هو يوم القيامة المذكور في سورة المعارج، قاله ابن عباس[59].

وعلى هذا فليس في الآية ما يشير إلى طبقات السماوات والمسافات بينها.

أما عرض السماوات والأرض الذي شبه به عرض الجنة في قوله تعالى { وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنه عرضها السموات والأرض } آل عمران 133، فإن المقصود من ذلك المبالغة

[58] الزمخشري ، الكشاف 26/4
[59] ابن عاشور ، التحرير والتنوير 147/21

في السعة كما ذهب إليه كثير من المفسرين. قال الألوسي: ليس المقصود تحديد عرضها حتى يمتنع كونها في السماء، بل الكلام كناية عن غاية السعة بما هو في تصور السامعين، والعرب كثيراً ما تصف الشيء بالعرض إذا أرادوا وصفه بالسعة ...."[60].

وفيما يتعلق بالإشارة في سورة الرحمن الآية 33 إلى أن للسماوات أقطاراً أي أطرافاً كما في تفسير الطبري[61]، قال ابن عاشور: الأقطار جمع قُطر بضم القاف وسكون الطاء وهو الناحية الواسعة من المكان الأوسع، وذكر السماوات والأرض لتحقيق إحاطة الجهات كلها تحقيقاً للتعجيز، أي فهذه السماوات والأرض أمامكم فإن استطعتم فاخرجوا من جهة منها فراراً من موقفكم هذا، وذلك أن تعدد الأمكنة يسهل الهروب من إحدى جهاتها[62].

أما وصف السماوات بأنها شداد فقد جاء في سورة النبأ، وفسرها العلماء بأنها محكمه قوية الخلق لا تؤثر فيها مرور الأزمان واستعير "بنينا" في هذه الآية لمعنى خلقنا ما هو عال فوق الناس لأن تكوينه عالياً يشبه البناء[63]، قال الألوسي:" والتعبير عن الخلق بالبناء للإشارة إلى تشبيهها بالقباب المبنية على سكنتها... وفيه إيماء أن السماء خيمية لا سطح مستو".[64] وهذا المعنى الذي ذكره الألوسي هو الذي ينصره العلم الحديث من أن السماوات طبقات محيطة بالأرض على هيئة الأغلفة وليست سطوحا مستوية. وهو ما ذهب إليه النجار[65] من المعاصرين في إصداره الحديث مع قوله بأن جل الجزء المدرك حاليا من الكون ماهو إلا السماء الدنيا.

وجاء وصفها أيضا بأنها ذات الحبك قال في الكشاف:" هي الطرائق مثل حبك الرمل والماء إذا ضربته الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره والدرع محبوكة: لأن حلقها مطرقة طرائق، وعن الحسن حبكها نجومها، والمعنى أنها تزينها كما تزين الموشي طرائق الوشي، وقيل حبكها إحكامها من قولهم فرس محبوك المعاقم (المفاصل) أي محكمها وإذا أجاد الحائك الحياكه قالوا ما أحسن

---

[60] الألوسي ، روح المعاني 56/4 وانظر مفاتيح الغيب ، 6/9 ، اطفيش ، تيسير التفسير ،169/2
[61] الطبري ، جامع البيان ، 593/11-594
[62] ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، 241/27
[63] ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، 202/6
[64] الألوسي، روح المعاني 8/29، وانظر الطبري، جامع البيان 398/30، أبو السعود، إرشاد العقل السليم 87/9
[65] النجار، السماء في القرآن الكريم، ط1 : 145- 146

حبكه[66] قال الالوسي: ويجوز أن يراد نجومها، وقيل طرائق المجرة التي تبدو ليلاً في قبة الجو، وقيل السحاب، وفسر الحبك بإتقان الصنع[67].

المبحث السادس: إشكاليات تفسير السماوات السبع على أنها النظام الشمسي

و بعد هذا العرض الذي ذكرنا فيه آراء و تأويل مختلف أئمة التفسير و قبل أن نتطرق إلى بدائل و آراء جديدة بغية دراستها و تمحيصها هناك عدد من المآخذ و التناقضات المرتبطة بتفسير السماوات السبع على أنها النظام الشمسي:

1. أن ورود هذه الآيات في سياق الدلالة على عظمة الخالق عز وجل وإتقان صنعه، فحصرها على النظام الشمسي وإغفال ذلك الكم الهائل من النجوم المتلألئة في السماء والتي هي أكبر حجما بكثير وأكبر عدد بملايين المرات والتركيز على الكواكب السبعة يدعو إلى الشك في ذلك التأويل، وخاصة إذا ما تذكرنا أن ثلاثا من هذه الكواكب يصعب رؤيتها بالعين وهي عطارد وأورانوس ونبتون إذا ما استثنينا بلوتو من كونه تاسع كوكب.

   ثانيا على ضوء الاكتشافات الحديثة يتيقن من كان عنده أدنى شك أن المجموعة الشمسية ككل لا تعد شيئا يذكر إذا ما قورنت بالكون المكتشف حديثا مما لا يجعلها أهلا ومحلا أن يرد ذكرها في سياق التعظيم والإجلال مع السكوت عما هو أعظم قدرا وأضخم حجما. وهذه الكواكب مجتمعة وإن عظم حجمها لا ترقى إلي مكانة الأرض ، لأن الله عز وجل قد حبى هذه الأرض بالعديد من الخصائص والأنظمة الداعمة للحياة إضافة إلي إستراتجية الموقع و البعد عن الشمس، بل وأصناف شتى من الكائنات الحية ما لا يتوفر في بقية الكواكب.

2. إن هذه الكواكب هي أكثر عرضة للمؤثرات من أجرام سماوية أخرى بينما الأجرام الأخرى مثل المجرات أكثر ثباتا وأشد بناء وهو ما يليق بوصفها " شداد".

   بسبب تباين فترات دوران هذه الكواكب حول الشمس ففي معظم الأحيان لا تكون مصطفة أفقيا بحيث يعلو بعضها بعضا ومن ثم لا يصدق عليها وصف القرآن (طباقا) كما يوضحه الشكل التالي:

3. القول بأن مدارات هذه الكواكب تأخذ طابع الطباق مردود لكون هذه المدارات إنما هي خطوط افتراضية نتصورها دائرية الشكل متطابقة، ولكن الحقيقة بسبب تحرك الشمس في

[66] الزمخشري، الكشاف 6/32-33
[67] الالوسي ، روح المعاني 27/10

الفضاء فهي تتحرك معها بحيث أن كل منها يأخذ شكلا شبه لولبي إذا ما اخذ عامل الزمن في الاعتبار كما هو موضح بالشكل التالي:

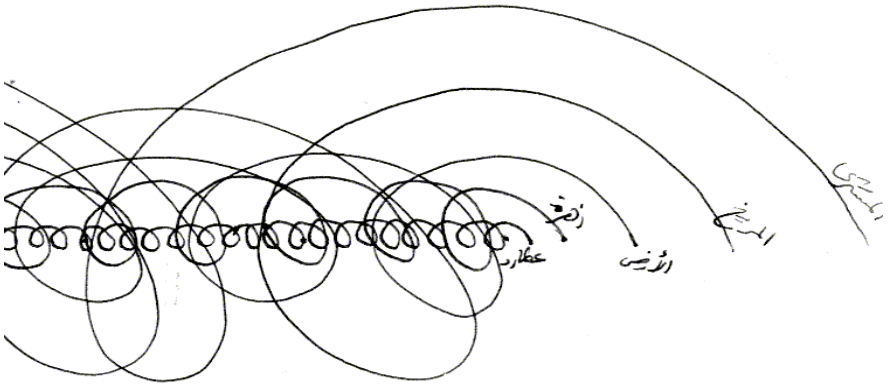

4. تدل الآية 29 من سورة البقرة بأن الله عز وجل صير السماء إلى سبع سماوات والمعلوم أنه في الغالب أن لفظ السماء تدل على الكون العلوي بأسره وليس إلى السحابة الضخمة التي نشأ منها النظام الشمسي حسب الفرضية السائدة في الأوساط العلمية الآن.

5. يصعب تصور خلق هذا الكون الفسيح بأجرامه المنظورة وغير المنظورة وقواه الهائلة و أبعاده المترامية الأطراف، غير مقصود بآيات الخلق وإتقان الصنع الواردة في القرآن الكريم، مع وجود النظرية القائلة بأن الكون على الأرجح والأصح قد نشأ من انفجار عظيم شكل دخانا هائل القدر والاتساع ومنه تكونت أجزاء ومكونات هذا الكون؛ من مجرات ضخمة، و نجوم متفاوته في الأحجام و الأطوار، في حين أن المجموعة الشمسية ليست إلا جزء واحد من مليون مليون مليون جزء على أكثر تقدير.

6. وجود بعض الفرضيات والدلالات[68] التي تشير إلى أن كون توزيع المجرات في هذا الكون الفسيح يأخذ شكل أسطح كروية مجوفة مقْبيَّة على الأخرى أي يطبق بعضها على الآخر مشتركة في المركز كما هو موضح بالشكل أدناه. تجدر الإشارة إلي أنها ما زالت هذه الفرضيات و الدلالات غير مقبولة علميا حتى الآن.

[68]Sugiura, Norimasa; Nakao, Ken-Ichi; Harada, Tomohiro, Physical Review D (Particles, Fields, Gravitation, and Cosmology), Volume 58, Issue 10, 15 November 1998.
Napier, W. M.; Guthrie, B. N. G., Quantized Redshifts: A Status Report, Journal of Astrophysics and Astronomy, Vol. 18, p.455, 1997.

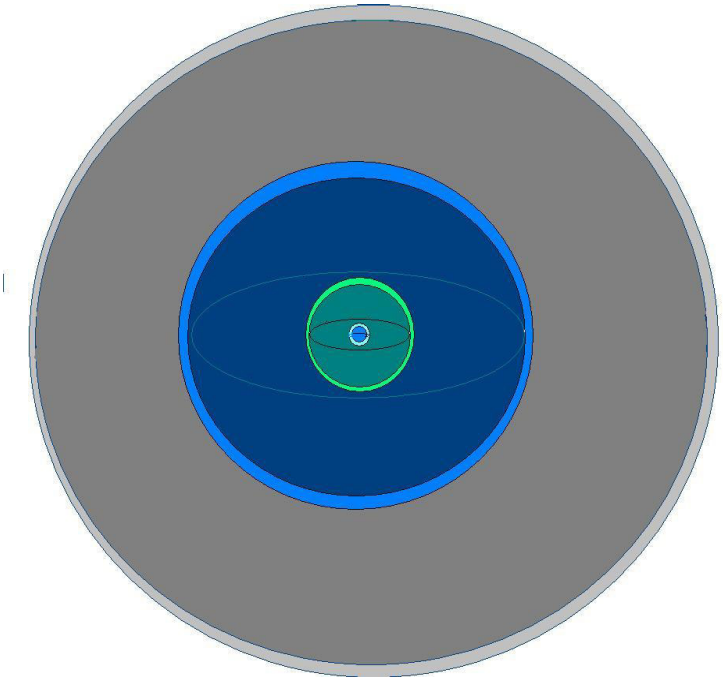

المبحث: السابع

البحث عن بدائل:

من المعلوم أن قانون العالم هبل التجريبي الخطي الذي ينص على أن سرعة إبتعاد المجرات عن تتناسب طرديا و خطيا مع المسافة الفاصلة بيننا و بين تلك المجرات، يتماشى مع معضم النتائج الفلكية[69] و لكنه يفقد دقته في عدة حالات[70] بسبب الحركات الدينامكية بين أعضاء التجمع المجري، لذا يعتمد عليه الباحثون الفلكين لحساب بعد أو مسافات المجرات التي تم تسجيل الإنزياح للأحمر في طيفها. و تبعا لذلك أعطت الأرصاد والمسوحات الأولية للمجرات قبل خمسة عشر عاما لفريق هوهرا من جامعة هارفرد توزيعا شبه اسفنجى مما أدى بالفلكيين الإعتقاد في بداية الأمر بوجود فجوات وفروج[71] ضخمة بين المجرات (أنظر الشكل 5). كما تجدر الإشارة بان المناطق السوداء الخالية من أي مادة ضوئية مشعة قد تحتوي على قدر كبير من المادة المعتمة أو من الثقوب السوداء التي لا يستطيع الضوء التحرر من مجال جاذبيتها حيث يتم الكشف عنها بدراسة تأثيرها

[69] Koranyi, Daniel M.; Strauss, Michael A., Testing the Hubble Law with the IRAS 1.2 Jy Redshift Survey, Astrophysical Journal v.477, p.36, 1997.

[70] Segal, I. E.; Nicoll, J. F.; Wu, P., Statistically Efficient Parallel Testing Of The Hubble And Lundmark Laws In The Preevolutionary X-Ray Band, The Astrophysical Journal, Part 1, vol. 431, no. 1, p. 52-68, 1994

Miller, Thomas E.; Miller, John B., Hubble and de Sitter Redshift-Distance Law Comparison, 186th American Astronomical Society Meeting, #56.03; Bulletin of the AAS, Vol. 27, p.889, 05/1995.

[71] Vogeley, Michael S.; Geller, Margaret J.; Park, Changbom; Huchra, John P., Voids and Constraints On Nonlinear Clustering Of Galaxies, The Astronomical Journal, vol. 108, no. 3, p. 745-758, 09/1994.

الجاذبي على ماحولها أو على تقوس الضوء أو زيادة لمعانه لفترة وجيزة عند مروره في تقعر الزمكان نتيجة لوجود الكثافة العالية للمادة في حيز ضيق نسبيا.

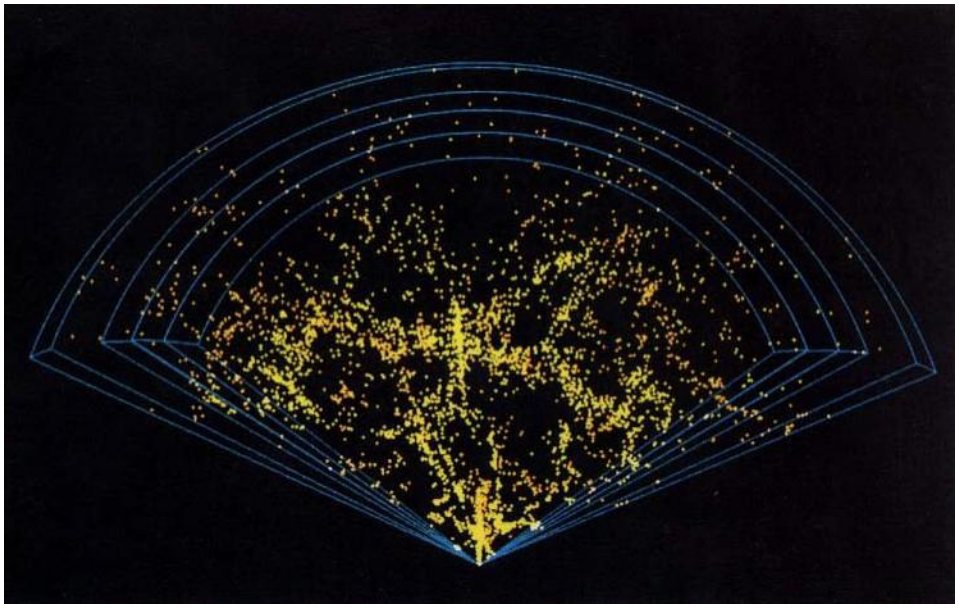

بيد أن دراسات لاحقة مستفيضة مثل ومسوحات رأس قلم الرصاص (Pencil Beam Surveys) المتعددة ومسوحات نطاق الدرجتين (2 degree field Survey) لفريق أنجلوسترالي كبير ومسوحات سلوون الرقمية للسماء (Sloan Digital Sky Survey) أكدت احتواء تلك المناطق على مجرات خافتة نسبي[72]ا لم تكتشف قبل (انظر الشكل 6). و صدق المولى عز وجل القائل في محكم التنزيل { الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور. ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير}[73]فلم تكن تلك الفروج التي رأوها سابقا إلا تصورات ناجمة عن محدودية الرصد و قصور أجهزة الرصد من إلتقاط الضوء الخافت جدا.

وهنا يجدر بنا أن نقف وقفة تأمل أخرى مع الإعجاز البلاغي والعلمي في إختيار كلمة "حسير" بمعنى كليل أي متعب فظاهرة الإنزياح للأحمر للعالم الفيزيائي دوبلر وهي فقدان الضوء لجزء من طاقته بسبب اتساع الكون وقيل بسبب قطعه لتلكم المسافات الشاسعة التي تزداد طولا مع إستمرار

[72] Kuhn, B.; Hopp, U.; Elsaesser, H., Results of A Search For Faint Galaxies In Voids, Astronomy and Astrophysics, v.318, p.405-415, 02/1997

[73]سورة تبارك /4

تمدد الكون المتسارع فيصل الأرض وهو كليل ضعيف خافت باهت وبطاقة أقل من التي انطلق بها من مصدره ومن ثم ترتب على ذلك أن يرى بلون آخر منزاح لجهة اللون الأحمر.

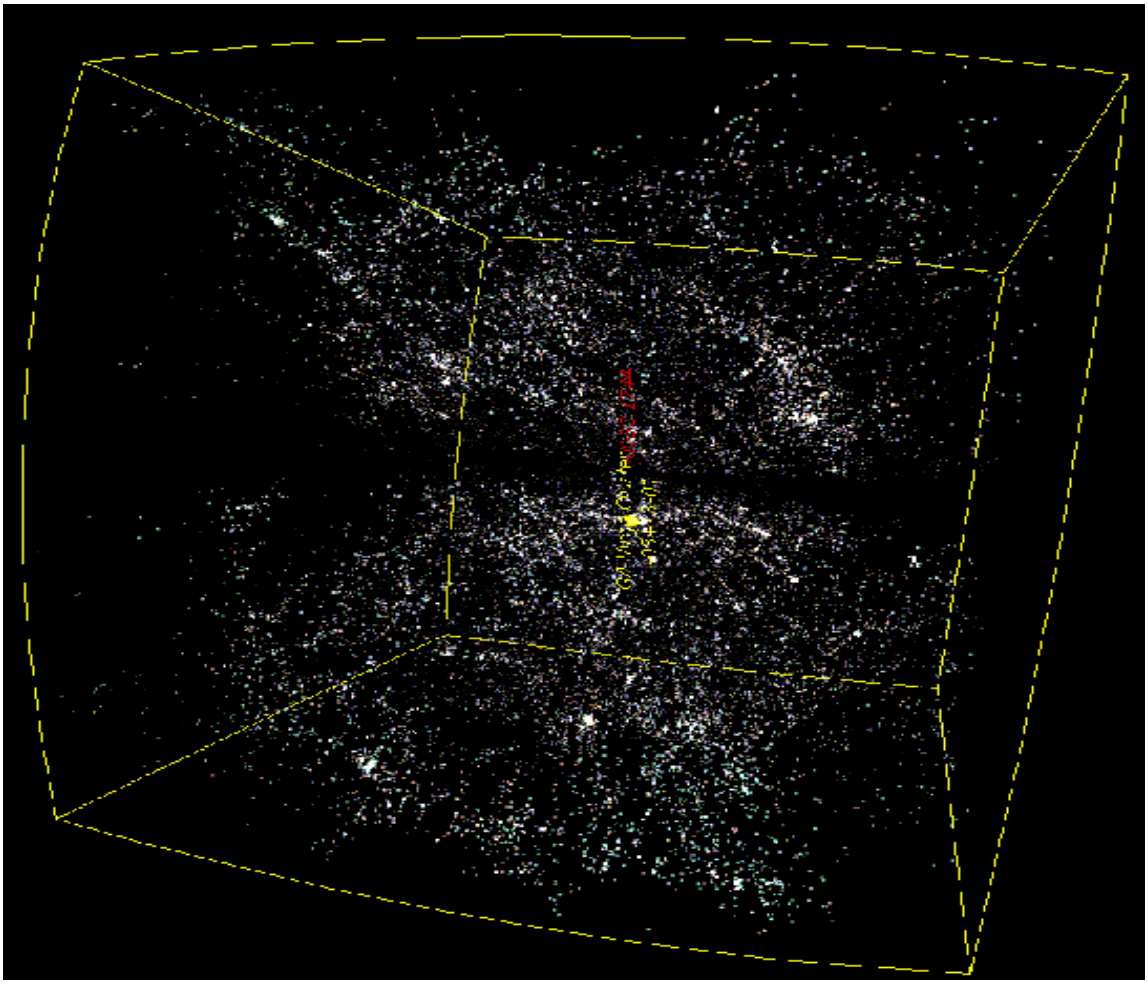

الشكل 6 : يوضح توزيع 28 ألف مجرة في أرجاء الكون القريبة منا. لاحظ تأثير حجب قرص مجرتنا "درب التبانة" للمجرات في المنتصف.

ورجوعا الى نمط وشكل توزيع المجرات في هذا الكون البديع فقد اقترح بعض الباحثين[74] استخدام علاقة تجريبية من الدرجة الثانية بدلا من معادلة هبل لتمدد الكون على أنها اعم و أدق، في حين

[74] Segal, I. E.; Nicoll, J. F.; Wu, P., Statistically Efficient Parallel Testing Of The Hubble And Lundmark Laws In The Preevolutionary X-Ray Band, The Astrophysical Journal, Part 1, vol. 431, no. 1, p. 52-68, 1994
Miller, Thomas E.; Miller, John B., Hubble and de Sitter Redshift-Distance Law Comparison, 186th American Astronomical Society Meeting, #56.03; Bulletin of the AAS, Vol. 27, p.889, 05/1995.

معادلة هبل تتوافق[75] معها في تقدير أبعاد المجرات في الحيز الكوني القريب. في حين أن التصور النظري الشائع لتوزيع المجرات هو توزيع متماثل في أي اتجاه ومتساوي ومتشابه في جميع الجهات والأرجاء. وهذا لا ينفي بالضرورة فرضية الاغلفة الكروية المتطابقة وذلك لتصافها بصفات التماثل والتشابه ولكن في نفس الوقت يندرج تحت ذلك التصور الواسع هيئات و توزيعات أخرى كالتوزيع الأكثر قبولا حاليا.

و قد حاول احد المختصين اختبار هذه العلاقة من خلال إعادة حساب أبعاد المجرات بناءا على إنزياح أطيافها المسجلة في أرشيف مسوحات الإنزياح للأحمر للمجرات، وكانت النتيجة أن معظم تلك المجرات توزعت على سطوح كروية ترتكز حول مجرة درب التبانة.

وهذه الفرضية تحتاج إلى كم وفير من الأدلة العلمية المقنعة لكونها تناقض المفهوم السائد حاليا وتنتقص من عمومية قانون هبل و لعل الأرصاد المستقبلية ستأتي بما لم يكن في الحسبان و يصبح المسلم به حاليا مستنكرا لاحقا. ونظرا لأهمية الموضوع فإننا نامل ان نتطرق إلى تفاصيل البدائل المستجدة في بحث مستقل يركز ويتعمق في الاستدلال بأيات المعراج واحاديث أقطار السماوات وبدأ الكون وتمدده وإنتهاءً بطيء السماء وأنكماش الكون.

الخلاصة:

رأينا مما سبق عرضه أن أكثر علماء التفسير يلحون على تفسير السماوات السبع بنظام المجموعة الشمسية. ومنهم من فسرها بالأفلاك. ويرى الباحثان:

أولا: أن تفسير السماوات السبع بالنظام الشمس قول مخالف لسياق القرآن ولمعطيات العلم الحديث.

[75]Koranyi, Daniel M.; Strauss, Michael A., Testing the Hubble Law with the IRAS 1.2 Jy Redshift Survey, Astrophysical Journal v.477, p.36, 1997.

ثانيا: القول بأن السماء الدنيا هي اقرب الكواكب من المجموعة الشمسية إلى الأرض لا يتفق مع المعارف العلمية الحديثة، ولا ينسجم مع سياق الآيات نفسها.

ثالثا: يري الباحثان أن تفسير السموات السبع بأنها أغلفة تحيط بالأرض هي الرأي الراجح.

رابعا: أن ما نراه من هذا الكون المترامي الأطراف، والذي يحتوي على البلايين من الأجرام والمجرات، ما هو إلا الجزء المعلوم من السماء الدنيا.

خامسا: أن العدد (سبعة) مقصود لذاته وأن السماوات سبع كما ورد في الآيات لا تزيد على هذا العدد.

على أن محاولتنا في هذا البحث كان هدفها دراسة أوجه التطابق والاختلاف مع مدلولات الآيات الكريمة على أمل أن ترشدنا عملية التثبت والتمعن في دلالات الآيات الكريمة إلي صيغة جديدة تتوافق مع صفات وخصائص السماوات السبع المذكورة في القرآن الكريم و تطرح بديلا علميا لماهية السماوات السبع يمكننا من إستكشاف هيئتها بالأرصاد الفلكية و دراستها بواسطة أساليب المحاكاة الرقمية. والله من وراء القصد.

المراجع:

- القرآن الكريم
- أبو السعود محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت
- ألوسي، محمود، روح المعاني، ط4 ، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1985/1405م.
- ابن عاشور ، محمد الطاهر ، التحرير والتنوير ، ط1، مؤسسة التاريخ ، بيروت، 2000،1420م.
- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،ط2، دار الجيل، بيروت، 1990/1410م.
- اطفيش محمد بن يوسف، تيسير التفسير، وزارة التراث، سلطنة عمان، 1976/1406.
- رازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب،ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1990/1411
- زمخشري، محمود بن عمر، الكشاف، تحقيق محمد مرسي عامر، دار المصحف القاهرة.
- سيد قطب، في ظلال القرآن، ط25، دار الشروق، القاهرة ،1996/1417م.
- طبري، محمد بن جرير، جامع البيان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992/1412م.
- عباس، فضل حسن، إعجاز القرآن الكريم، دار الفرقان، الأردن، 1991
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، مكتب الإعلام الإسلامي، إيران، 1404هـ.
- قاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، ط2، دار الفكر، بيروت، 1978/1398.
- النجار، زغلول راغب محمد، السماء في القرآن الكريم–من آيات الإعجاز العلمي، ط1 : 2004/1425 ، دار المعرفة، بيروت لبنان.

- Napier, W. M.; Guthrie, B. N. G., Quantized Redshifts: A Status Report, Journal of Astrophysics and Astronomy, Vol. 18, p.455, 1997.

- Tifft, W. G., Redshift periodicities, The Galaxy-Quasar Connection, Astrophysics and Space Science, v. 285, Issue 2, p. 429-449, 2003.

- Tifft, W. G., Global Redshift Periodicities and Periodicity Variability, Astrophysical Journal v.485, p.465, 1997.

- Cocke, W. J., Statistical Methods for Investigating Periodicities in Double - Galaxy Redshifts, Astrophysical Journal, Part 1,vol. 393, no. 1, p. 59-67, 1992.

- Sugiura, Norimasa; Nakao, Ken-Ichi; Harada, Tomohiro, Distance-Redshift Relation In An Isotropic Inhomogeneous Universe: Spherically Symmetric Dust-Shell Universe, Physical Review D (Particles, Fields, Gravitation, and Cosmology), Volume 58, Issue 10, 15 November 1998.

- Huchra, J. P.; Vogeley, M. S.; Geller, M. J., The CfA2S Catalog, Astrophysical Journal Supplement, 121..287H, 09/1999.

- Rojas, R. R.; Vogeley, M. S.; Hoyle, F., Photometry and Spectroscopy of Void Galaxies, American Astronomical Society Meeting 202, #41.02, 05/2003.

- Kuhn, B.; Hopp, U.; Elsaesser, H., Results of A Search For Faint Galaxies In Voids, Astronomy and Astrophysics, v.318, p.405-415, 02/1997

- Vogeley, Michael S.; Geller, Margaret J.; Park, Changbom; Huchra, John P., Voids and Constraints On Nonlinear Clustering Of Galaxies, The Astronomical Journal, vol. 108, no. 3, p. 745-758, 09/1994.

- Segal, I. E.; Nicoll, J. F.; Wu, P., Statistically Efficient Parallel Testing Of The Hubble And Lundmark Laws In The Preevolutionary X-Ray Band, The Astrophysical Journal, Part 1, vol. 431, no. 1, p. 52-68, 1994

- Miller, Thomas E.; Miller, John B., Hubble and de Sitter Redshift-Distance Law Comparison, 186th American Astronomical Society Meeting, #56.03; Bulletin of the AAS, Vol. 27, p.889, 05/1995.

- Koranyi, Daniel M.; Strauss, Michael A., Testing the Hubble Law with the IRAS 1.2 Jy Redshift Survey, Astrophysical Journal v.477, p.36, 1997.

Seven Heavens From Interpreters And Astronomers Perspectives.

Suliman Al-Shuaili & Saleh al-Shidhani
Sultan Qaboos University , college of Education, Islamic science Dep.
Sultan Qaboos University , college of Science, Physics Dep.

Abstract

The holy Quran opened gates of knowledge to the human and encouraged him to explore the universe wonders that were mocked for him to probe the deep sky.

He was discouraged from his mind and on whit it is beyond to capabilities and what is out of reach from what it is hidden (*Ghaib*). However the rapid developments of the experimental sciences and the abidance of modern scientific discoveries revealed several issues related to the holy Quran that were considered (*Ghaib*) in the past.
Consequently, it became obligatory on Muslims to re-examine their interpretations of many verses that are related to science. Interpreters spoke about the meaning of the heaven among the language, but when they interpreted the seven heavens many of them went to say the solar system was intended. Although, they tried to make seven even in their view. The number seven is not intended. Rather than basing correct scientific bares, they gust followed what was believed by Astronomers in the past.

When astronomers on imagination rather than factual knowledge. Modern science contradicts the interpretation of sever heaven as the solar system. Aynor the latter dose not concedes with the quranic descriptions as (*Tibaqa* concentric) *shidada.* That is because the plants are not horizontally aligned …. To the variation of orbital periods. Secondly, because it can be influenced by bigger celestial objects. In addition ,the solar system is a small fraction of a million million million of the observable universe ,which is our

view represents the lower heaven. only in the false interpretation led to a wrong interpretation of the lower heavens as the nearest planet.

Along this time liner the paper comes as an attempt to examine the degree of agreement b/w modern scientific theories of the seven heaven and versus of the holy Quran. From on perspective and from another perspective the level of the agreement and difference b/w the recent discoveries and the narrations of interpreters in the past and recently. The work starts by defining "sky or heaven" is the Arabic language then number of the heavens as indicated as the holy Quran, what was meant by the number seven and the interpreters view on that. The paper then speak about the lower heaven and outlines the heavens characteristics as mentioned the holy Quran before discussing the various views.

In conclusion we reached an opposing view to what station by most interpreters in that the seven heavens is the solar system we found it dose agree with modern scientific discoveries therefore, interpretation the seven heavens using concentric shell hypothesis is a better alternative while all the observable gigantic overwhelming universe represents the lower heaven, and ALLAH know best.